



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْرَارُ الصُّومِ

أسرار الصوم / أبو حامد الغزالى؛ حققه وعلق عليه وقدم له ماهر
المنجد. - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦. - ٦٤ ص؛ ١٧ سم
١- العنوان ٢- ٢١٦، ٢٢ غ ز ١١
٣- المنجد ٤- الغزالى

مكتبة الأسد

١٩٩٦/١١/١٥٨٤ ع

الإمام
أبو حامد الغزالى

أسرار الصوم

حققه وعلق عليه وقدم له

Maher Al-Maqdisi

دار الفيكتور
 دمشق - سوريا

دار الفيكتور المعاصر
بيروت - لبنان



الرقم الاصطلاحي: ١٠٨٥، ١٣
الرقم الدولي: 1-57547-305-4

الرقم الموضوعي: ٢١٠

الموضوع: علوم دينية

العنوان: أسرار الصوم

التأليف: أبو حامد الغزالى

التحقيق: ماهر المنجد

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٦٤ ص

قياس الصفحة: ١٧×١٢ سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل
المائي والمسنون والخاسبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطى من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

سورية - دمشق - ص. ب (٩٦٢).

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

<http://www.Fikr.com/>

E-Mail: Info @Fikr.com

الطبعة الأولى

١٤١٧ م = ١٩٩٦ هـ

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة المحقق
٢١	بيان فضل الصوم والترغيب فيه
٣٠	واجبات الصيام
٣٠	- مراقبة أول شهر رمضان
٣١	- النية
٣٣	- الإمساك عن تعمد إيصال شيء إلى الجوف
٣٣	- الإمساك عن الجماع
٣٤	- الإمساك عن الاستمناء
٣٤	- الإمساك عن إخراج القيء
٣٥	لوازم الإفطار
٣٥	- القضاء
٣٥	- الكفارة
٣٦	- إمساك بقية النهار
٣٦	- الفدية

الصفحة	الموضوع
٣٧	سن الصيام
٤٠	أسرار الصوم وشروطه الباطنة
٤١	صوم المخصوص والصالحين
٤٢	- صوم البصر
٤٣	- صوم اللسان
٤٥	- صوم السبع
٤٦	- صوم بقية الموارح
٤٧	- عدم الإكثار من الطعام
٤٩	- تعلق القلب بين الخوف والرجاء
٥٠	روح الصيام
٥٤	التطلع بالصيام وترتيب الأوراد فيه
٥٤	- صوم الأيام الفاضلة
٥٦	- صوم شهر محرم
٥٦	- صوم عشر ذي الحجة
٥٧	- صوم الدهر أو نصفه أو ثلثه

مقدمة المحقق

ولد الإمام أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي المعروف بالغزالى سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٩ بـمدينة طوس في خراسان ، ثم قدم نيسابور وهو في العشرين من عمره ، فاتصل بإمام الحرمين أبي المعالى الجويني ، فدرس الفقه والفلسفة ، ثم عهد إليه نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلاجقى بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وتعذر هذه المدرسة من أعظم المعاهد العلمية العالمية آنذاك .

ومالبث أن مر الغزالى بأزمة فكرية قوامها الشك ؛ دفعته إلى التعمق في العلوم الفلسفية ، فترك التدريس وانتقل إلى الشام ، واعتكف في المسجد الأموي ، ثم ارتحل إلى القدس ،

ومن هناك انتقل إلى بلاد الحجاز وأدى مناسك الحج . ثم عاد إلى دمشق ليدرس العلوم الدينية في زاوية المسجد^(١) .

رحل الغزالي - فيها بعد - إلى الإسكندرية في مصر فالتقى بالفقيه المشهور أبي بكر الطرطوشى صاحب كتاب سراج الملوك . ثم كُلُّف بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور من قبل الوزير فخر الملك بن نظام الملك ، فبقي يدرس مدة سنتين قبل أن يعود إلى مدینته طوس ليلبّي نداء ربه ، حيث وافته المنية^(٢) عام ٥٠٥ هـ - ١١١١ م .

لقد كانت تجربة الغزالي الفلسفية تجربة عنيفة معقدة ؛ انتهت بانقلاب شامل على الفلسفة نجح فيه نجاحاً بارعاً . بيد أن هذا النجاح كان طعنة نجلاء قاست على ازدهار الفلسفة العقلية والانتقادية^(٣) ، وأدّت إلى جمود الإبداع الفلسفى في المشرق والمغرب معاً .

(١) انظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٤/٣٢ .

(٢) راجع وفيات الأعيان لابن خلkan ٣/٣٥٣ .

(٣) انظر : المذاهب الفلسفية للدكتور عادل العوا ، صفحة ١٨٧ .

يوضح الغزالى في كتابه (المندى من الضلال) صرائعه الباطنى في الكشف عن الحقيقة ، ويصف تجربته الفلسفية بأدق تعبير ، تلك التي بدأت بفك عرى التقليد والفرق في أتون الشك المنهجى ؛ الذى بقى فيه قرابة الشهرين على « مذهب الفلسفه بحكم الحال ؛ لا بحكم المنطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقة بها على من أمن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ؛ بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور .. »^(١) .

لقد كانت شخصية الغزالى متعددة الجوانب ؛ رحبة الآفاق ، فهو حكيم ديني ؛ وفيلسوف واقعى ؛ ومفكّر وضعى ؛ ومصلح اجتماعي ؛ ومهذب صوفي^(٢) . وقد كانت قبله حروب هائلة بين الفقهاء والمتصوفة ، فجاء الغزالى يصالح الفريقين ، ويرضى كثيراً من الفقهاء عن التصوف ؛ وكثيراً من المتصوفة

(١) انظر : كتابه (المندى من الضلال) صفحة ٦٢ .

(٢) راجع كتاب (الغزالى) للدكتور الشرباصي صفحة ٢٠ .

عن الفقهاء^(١) . والظاهر من سيرته أنه كان نهائاً في تحصيل العلم ، لم يدع باباً يظن أنه يوصله إلى معرفة الحقيقة إلا طرقه . ولم تعجبه الفلسفة والفقه المجرد من الروح ، ولا تعاليم الباطنية ، وإنما اطمأنَّ أخيراً إلى التصوف وأحبه وركن إليه^(٢) ... وقد تابع الغزالى بمعنى إيجابي عمل القشيري ، وأعطى الصوفية مكاناً ثابتاً لدى أهل السنة - كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية - وقد كان الوجود بالنسبة له أساس كل حقيقة دينية ... وقد حاول جاهداً أن يعيد الناس إلى الدين وإلى طريق القدماء^(٣) ..

ويرى (ول دِيورانت) في قصة الحضارة أن اعتناق الغزالى لمذهب التصوف كان نصراً باهراً للصوفيين ، ذلك أن أهل السنة قد أخذوا من بعده بالتصوف ، حتى طفت - مع الأسف - عقائد الصوفية وقتاً ماعلى قواعد الدين ، وأخذ

(١) انظر : (ظهر الإسلام) لأحمد أمين صفحة ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ١٦٦/٤ .

(٣) دائرة معارف الإسلام . الطبعة الأولى عام ١٩٢٧ - المجلد الثاني من النسخة الفرنسية ، والمقال للمستشرق : د. ب. مكدونالد .

الزهاد المتصوفة يهجرن حياة الأسرة ، ويحيون حياة الأخوة الدينية بزعامة شيخ لهم ، ويسمون أنفسهم الفقراء والدراوיש^(١) ..

أصل الكتاب وعملنا فيه :

إن كتاب (أسرار الصوم) هو في الأصل جزء من كتاب الغزالى الكبير الموسوم بـ (إحياء علوم الدين) ، وهو كتاب قسمه مؤلفه إلى مجموعة كتب ، لكنه جمعها كلها في كتابه المذكور . والذى دفعنا إلى العمل في هذا الكتاب وإعادة نشره على كتب وأجزاء أسباب كثيرة ؛ منها ما يتعلق بالجانب العلمي ، ومنها ما يتعلق بجانب التلقي . فالكتاب الأصلي موسوعة دينية ضخمة ، وهو من أوسع كتب الغزالى شهرة ، ولكن مع الأسف الشديد مطروح في الأسواق دون أي تحقيق علمي يضبط نصه ؛ ويقوم أخطاءه ؛ ويرتّب أفكاره ؛ ويشرح غريبه ؛ ويغنيه بالتعليقات التي لابدّ منها في كتاب من هذا

(١) راجع قصة الحضارة - ول دبورانت ٣٦٥/١٣ .

النوع مؤلف له ماله ، وعليه ماعليه ... فمن أجل هذه الأمور جميعاً كان عملنا في الكتاب ، كما قمنا بتخريج أحاديث الغزالى كافة بالاعتماد على ما أجمع عليه العلماء من كتب الحديث المعتددة .

وذكرنا أصل الحديث المروي كاملاً ؛ فإن كان له روایة أخرى تفید السیاق ذكرناها ، ذلك أن الغزالى - رحمه الله - كان يروي معظم الأحاديث بالمعنى ، ولا يحافظ - في الأغلب - على ألفاظ الحديث ، بل ربما ساق حديثاً شطره الأول صحيح ؛ وشطره الثاني مضاف وموضوع !! ومن هنا تأتي أهمية ذكر أصل الحديث كاملاً ، فعدم ذكر الحديث بـألفاظه الأصلية قد يغير في بعض الأحيان من معناه الحقيقي ، وكذلك أيضاً ما يضاف إليه ، فقد يحرف المعنى ويعدل به من جهة إلى أخرى . ثم إن لـسیاق الحديث وقصته وظروفه المحيطة أهمية عظيمة في توجيه دلالته وفهم مغزاه الذي أريده فعلاً .

وقد كان للإمام عبد الرحيم العراقي حاشية على كتاب الغزالى خرج فيها أحاديثه ، غير أنه كان يكتفي - في أغلب

الأحيان - بذكر مصدر الحديث فقط ؛ دون إيراد النص الأصلي للحديث بلفظه الأساسية ، أو إيراد روایاته الأخرى إن كانت ذات أهمية ... وعلى الرغم من ذلك تبقى حاشية العراقي ذات قيمة وقد أفردنا منها .

كما خرّجتُ جميع الآيات القرآنية الواردة في الكتاب وذكرت اسم السورة ورقم الآية ، مع إيراد الآية المذكورة كاملة ؛ ليعرف القارئ الكريم سياقها ، لأن الغزالي كان كثيراً ما يستشهد بجزء صغير من الآية ، وربما اجتثَّ هذا الجزء من سياق الآية ؛ ليأخذ منها حكماً عاماً قد كان خاصاً في الأصل .

وقد اقتضى العمل أن تتبع الغزالي في جميع أقواله وآرائه خطوة خطوة ، فما كان محتاجاً إلى تعليق علّق عليه ؛ كشفاً لملابساته ؛ وبياناً لأبعاده ؛ وإرشاداً لقارئه ، وهذا الأمر هو من الأهمية بمكان ؛ خاصة إذا علمنا أن الغزالي - رحمه الله - كان في بعض الأحيان يسوق آراء شخصية بلا دليل ، ومن ثم فإن العمل بها غير ملزم إطلاقاً ؛ لأنها ليست أحكاماً شرعية ، وإنما وجهة نظر مفكّر إسلامي مال إلى الزهد والتصوف ، فبالغ أحياناً في

بعض روحانياته على حساب الواقع المعيش ومبادئ الدين ،
والإسلام هو في أصله دين عمل وإنتاج وحضارة لا دين تواجد
وذكر وتواكل ..

وبقي علينا أن نعطي للقارئ الكريم لحنة عن بعض
مصطلحات الحديث وأقسامه ليكون على بيته من أمره ، لأن
الغزالى كان كثير الاعتماد على الحديث النبوى الشريف في بناء
آرائه وأفكاره وأحكامه .

لقد اصطلح علماء الحديث على تقسم الحديث إلى ثلاثة
أقسام :

« حديث صحيح - حديث حسن - حديث ضعيف » .

وأصل الحديث الحسن - وهو القسم الأوسط - حديث
ضعيف عند العلماء المتقدمين ، ولكنهم كانوا قد قسموا الحديث
الضعيف إلى متروك العمل به وإلى غير متروك العمل به ، فاما
الضعيف المتروك فهو ما كان راويه كثير الغلط أو متهمًا
بالكذب . وأما غير المتروك من الضعيف فهو ما كان راويه ليس

بكثير الغلط ولا متمّهاً بالكذب ، وإنما هو خفيف الضبط فحسب ، ثم سمي - فيما بعد - هذا النوع غير المتروك حديثاً حسناً .

وأما الموضوع فلم نذكره في القسمة السابقة لأنّه ليس حديثاً بالأصل ، فهو كلام مختلفٌ ومكذوب ، يزعم واضعه أنه مرويٌّ عن رسول الله ﷺ وما هو كذلك ، وقد قال السيوطي في التدريب :

« وإنما لم يذكر الموضوع لأنّه ليس في الحقيقة بحديث اصطلاحاً ، بل بزعم واضعه ». .

وينبغي هنا تذكير القارئ الكريم بالمفهوم الاصطلاحي لكل نوع من الأحاديث ، وما يترتب عليها من أحكام في التشريع ليعرف المغزى من القول في الحاشية تعليقاً على أحاديث الغزالي : هذا حديث صحيح ، وهذا حديث ضعيف ، وهذا لا أثر له في الكتب الستة ... إلخ .

لقد عرّف ابن كثير في اختصار علوم الحديث ؛ الحديث

الصحيح بأنه الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذًا ولا معللاً .

والحديث الصحيح حجّة في التشريع ، بل إنه لا فرق بين القرآن وبين الحديث الصحيح في التحليل والتحريم ، وقد أجمع العلماء الأقدمون كافة - بما فيهم أبو حنيفة - على أن الحديث إذا صحّ يُقدّم على القياس والرأي .

أما الحديث الحسن فهو الحديث المسند الذي يتصل سنته بنقل عدل خفيف الضبط ، ولا يكون شاذًا ولا معللاً .

وقد يوصف الحديث الحسن بأنه (حسن صحيح) حين تكون روايته التي وصفت بالحسن قد ثبتت من جهة أخرى لها شروط الصحة .

وأما الحديث الضعيف فهو مالم يتحقق فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحديث الحسن . وله أنواع كثيرة منها المُرسَل والمُنْقَطِعُ والمُعْضَلُ والمُدَلَّسُ والمُعَلَّلُ والمُضْطَرُبُ والمُقلَّوبُ والشَّاذُ والمُنْكَرُ ... إلخ .

والحديث الضعيف لا يجوز العمل به ؛ أو الأخذ به في أي وجه من الوجوه ولا حتى في فضائل الأعمال . وأما عبارة القدماء :

« إذا روينا في الحلال والحرام شدّدنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا » ، فقد فهمتُ على نحو مغلوط ، وهي لا تعني جواز العمل بالضعف في فضائل الأعمال ، وفي ذلك يرى الدكتور صبحي الصالح^(١) - رحمه الله - أن المقصود بالتشدد هو أنهم لا يحتاجون إلا بأعلى درجات الحديث وهو الصحيح . والمقصود بالتساهل هو قبول ما هو دون الصحيح في المرتبة ، وهو الحديث الحسن الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم ، وقد كان يُعدُّ قسماً من الضعف - كما ذكرنا - وهو غير المتروك .

إن الحديث الضعيف لا يمكن أن يكون مصدراً لحكم شرعي ، ولا لفضيلة خلقية ، لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً ،

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ .

والفضائل كالأحكام هي من دعائم الدين الأساسية ، ولا يجوز أن تكون هذه الدعائم مبنية على أساس هش ، وزواياها ضعيفة أساسها الشك ، فالدين لا يقوم إلا على اليقين ..

وبقي أن نشير إلى الخبر الموضوع الذي يزعم واسعه أنه حديث عن رسول الله ﷺ ، وهو خبر يصنعه أحد الكذابين ، ويصوغ ألفاظه ، ويخترع له سندًا ، ثم ينسبه إلى الرسول ﷺ .

وقد كان للوضع أسباب كثيرة منها الخصومة السياسية ، والانتصار للمذهب ، والخلافات الكلامية والفقهية ، والتشبه بأهل العلم ، والتكتسب والارتزاق ، وما شاكل ذلك ..

بيد أن جهابذة العلماء الأقدمين نهضوا نهضة قوية لتنقية الحديث مما دخله وحمل عليه ، وسلكوا في ذلك جملة مسالك واسعين منهجاً علمياً دقيقاً؛ يميزون به الغثّ من السمين ، فمن ذلك أنهم وضعوا قواعد أساسية للكشف عن الخبر الموضوع والحديث المكذوب ، فإن توافر واحد منها حكوا بكذب الخبر .

كما وضعوا علم الجرح والتعديل ، ودراسة رجال الأسانيد ، وقسموا الحديث تقسيماً دقيقاً من حيث قوته والأخذ به ، ووضعوا له المصطلحات والتسميات ..

وأما كتب الحديث فأصحّها ما يطلق عليه العلماء اسم (الكتب الستة) ، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبي داود ، ومجتبى النسائي ، وموطأ الإمام مالك ، وقد اختلف العلماء في الكتاب السادس ، فنفهم من جعله سنن ابن ماجه بدلاً من موطأ مالك ... لكننا حين نذكر للقارئ الكريم في الحاشية عبارة (الكتب الستة) فإننا نقصد التقسيم الأول الذي يشمل الموطأ . وقد عوّلنا على هذه الكتب الستة في تخریج الأحادیث التي يذكرها الغزالی ، وجعلناها معتمدنا الأساسي مع النظر أحياناً إلى كتابي أحمد وابن ماجه . ولم نفعل غيرها من كتب الأحادیث استئنasaً لاعتاداً لأن هذه الأخيرة تكثر فيها الأحادیث الضعيفة من شاذ ومنكر ومضطرب وما شاكله ... مع عدم معرفة حال رجاتها ، وهذا بالنسبة لأفضلها ، إذ إنّ هناك مصنفات أخرى أكثر سوءاً

جُمعت من أفواه الوعاظ والقصاصين والتصوفين وأصحاب البدع والأهواء ، وهي كتب هزلية لا يعول عليها أحد مطلقاً .

بيد أن الكتب الستة ليست على درجة واحدة . بل هي على درجتين ، ففي الدرجة الأولى صحيح البخاري ومسلم ، ويمكن إضافة موطأ مالك إليهما ، ثم يليها كتب الترمذى وأبي داود والنُّسائي . وصحيح أن هذه الأخيرة لم تبلغ شأو الصحيحين والموطأ ، غير أن أصحابها لم يتسللوا فيها اشترطوا على أنفسهم .

وتنبغي الإشارة إلى أن الغزالى - رحمه الله - كان كثيراً ما يستشهد - في معظم كتب الإحياء - بأحاديث ضعيفة ، بل أحياناً بأحاديث لا أصل لها ، ثم يبني على ذلك آراء وربما حكاماً . ووصفنا الحديث بالضعف يعني أن كل ما يتربّب عليه من أمور هو غير ملزم إطلاقاً .

نسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لخدمة تراث هذه الأمة ، إنه ولي التوفيق .

Maher Al-Mansoor

1992/11/10

كتاب أسرار الصوم

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمله وخيب ظنه ؛ إذ جعل الصوم حصنًا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة ، وأنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قسم خصها قوية المنة ، والصلة على محمد قائد الخلق ومهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوي الأ بصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليماً كثيراً .

بيان فضل الصوم والترغيب فيه

أما بعد : فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : «الصوم نصف الصبر»^(١) ، وبمقتضى قوله ﷺ : «الصبر نصف = (١) حديث حسن أخرجه الترمذى وأصله :

الإِيمَان »^(١) . ثم هو متَّيَّز بِخَاصِيَّة النِّسْبَة إِلَى الله تَعَالَى مِنْ بَيْن سَائِر الْأَرْكَانِ ؛ إِذ قَالَ الله تَعَالَى فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ حَسَنَةٍ بَعْشَرْ أَمْثَالَهَا إِلَى سَبْعِمَائَةٍ ضَعْفٌ إِلَّا الصِّيَامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »^(٢) ، وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى : « إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ

= « التَّسْبِيحُ نَصْفُ الْمِيزَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلُؤُهُ ، وَالْتَّكْبِيرُ يَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصُّومُ نَصْفُ الصَّبْرِ ، وَالظَّهُورُ نَصْفُ الإِيمَانِ » .

(١) هذا الحديث غير موجود في الستة ، لكنه في حلية الأولياء منسوباً إلى أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأبو نعيم هذا إمام حافظ ثقة ، بيد أنه كان يتاجر بالحديث ، وقد روى أحد تلامذته فقال : « كنا نختلف إلى أبي نعيم الفضل بن دكين القرشي نكتب عنه الحديث ، فكان يأخذ منا الدرام الصالح ، فإذا كان معنا دراما مكسورة يأخذ عليها صرفاً » (انظر : الباعث الحيثي ١١٦ والكتفائية ١٥٦) .

وهناك حديث آخر في الصبر يروى عن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الصَّبَرُ مَعْوَلُ الْمُسْلِمِ » أي معتمده وسنته .

(٢) حديث صحيح أخرجه الستة وأصله : « كُلُّ عَمَلٍ لِبْنَ آدَمَ يَضَعُفُ : الْحَسَنَةُ بَعْشَرْ أَمْثَالَهَا إِلَى سَبْعِمَائَةٍ ضَعْفٌ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِلَّا الصُّومُ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدْعُ شَهُوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي . لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانٌ ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فَطْرَهُ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ، وَلَحْلَوْفٌ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رَيْحِ الْمَسْكِ » .

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(١) . والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله ﷺ : « والذى نفسي بيده خلوف ف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلني فالصوم لي وأنا أجزي به » ^(٢) . وقال ﷺ : « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون » ^(٣) ، وهو

(١) من سورة الزمر ، الآية ١٠ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آتَيْنَا أَنْتُمْ رَبِّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَأَرْضَنَ اللَّهُ وَاسِعَةً ، إِنَّمَا يَوْمُ فَنَّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(٢) هو الحديث السابق ولكن برواية أخرى للبخاري هي :

« الصيام جنة ، فلا يرث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاته فليقل : إني صائم - مرتين - والذى نفسي بيده ، خلوف ف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشهوته من أجلني ، الصيام لي ، وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها » .

الجنة : السُّتُّر والوقاية - الخلوف : تغير ريح ف الصائم من ترك الأكل والشرب - الرُّفْث : كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنسائي وأصله :

« إن في الجنة باباً يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيمة ، =

موعد بلقاء الله تعالى في جزاء صومه . وقال ﷺ : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه » ^(١) ، وقال ﷺ : « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم » ^(٢) ، وقال ﷺ : « نوم الصائم عبادة » ^(٣) . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين ونادى منادٍ يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر » ^(٤) .

= لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » .

(١) راجع الحاشية رقم (٢) .

(٢) حديث ضعيف السند أخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المتوفى سنة (١٨١) من حديث لأبي الدرداء .

(٣) حديث ضعيف وهو غير موجود في الكتب الستة ، لكنه في أمالى ابن منه وفى مسنـد الفردوس ، وفيه كتاب وهو سليمان بن عمرو حسب رواية أبي منصور الديلمي في مسنـده .

(٤) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم ومالك والنـسائي والترمذى وفي رواية الترمذى :

وقال وكيع^(١) في قوله تعالى : « كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِيئًا يَا أَسْلَفُتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ » [سورة الحاقة : ٣٤/٦٩] ; هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله ﷺ في رتبة المباهة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال : « إن الله يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول : أباه الشاب التارك شهوته لأجل المبذل شبابه لي أنت عندى كبعض ملائكتي »^(٢) .

وقال ﷺ في الصائم : « يقول الله عز وجل : انظروا يا ملائكتي إلى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من

= « إذا كان أول ليلة من رمضان : غلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير هلم وأقبل ، ويما باغي الشر أقصر ، والله فيه عقاء من النار ، وذلك في كل ليلة ، حتى ينقضي رمضان » .

(١) لعله وكيع ابن الجراح ، ولد سنة (١٢٨) هـ ، وتوفي سنة (١٩٨) هـ ، قال فيه أحمد بن حنبل : « الثابت عندنا في العراق وكيع » .

(٢) حديث ضعيف غير موجود في الكتب الستة ، وقد أخرجه ابن عدي من حديث ابن مسعود .

أجلٍ^(١) . وقيل في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة : ١٧/٣٢] ، قيل كان عملهم الصيام لأنّه قال : ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) [الزمر : ١٠/٣٩] ، فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغاً ويجازف جزافاً ، فلا يدخل تحت وهم وتقدير ، وجدير بأن يكون كذلك ؛ لأن الصوم إنما كان له وشرفًا بالنسبة إليه - وإن كانت العبادات كلها له - كشرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين :

أحدهما : أن الصوم كفّ وترك ، وهو في نفسه سرّ ليس فيه عمل يشاهد . وجميع أعمال الطاعات يشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عزّ وجلّ ، فإنه عمل في الباطن بالصّبر المجرّد .

(١) وهذا أيضاً غير موجود في الكتب الستة .

(٢) من سورة الزمر الآية ١٠ : ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَخْسَتُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْنَةً، وَأَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً، إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

والثاني : أنه قهر لعدو الله عز وجل ؛ فإن وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات ؛ وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، ولذلك قال عليه السلام : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا معاريه بالجوع » ^(١) ، ولذلك قال عليه السلام لعائشة

(١) هذا الحديث فيه إضافة غير موجودة في الأصل ، وهذه الإضافة تحرّف معناه وتبعده عن مقصد़ه ، ثم إن له سياقاً غير هذا السياق وباباً غير هذا الباب ، ومغزاه الحقيقي : دفع ظن السوء ؛ لا الخضّ على الجوع كما جعله الفزالي رحمه الله ، فعبارة « فضيّقوا معاريه بالجوع » عبارة مضافة ولا أصل لها في الحديث ، وسياقه الحقيقي كما أخرجه مسلم « أن النبي عليه السلام كان مع إحدى نسائه ، فرّ به رجل ، فدعاه وقال : هذه زوجي ، فقال : يا رسول الله ، من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول الله عليه السلام : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » . فالمغزى - كما نلاحظ - أن يستحب لمن رؤيَ خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرباً له أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به .

وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم وابن داود أن صفية زوج النبي عليه السلام قالت : « كان النبي عليه السلام معتكفاً ، فأتته أزوره ليلاً ، فحدثته . ثم قت لانقلب (أي : لأرجع) فقام معي ليقلبني ، وكان مسكنها في دار أسمة بن زيد ، فرّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي عليه السلام أسرعا ، فقال النبي عليه السلام : على رسالكما إنها صفية بنت ختيّ . =

رضي الله عنها : « داومي قرع باب الجنة ؛ قالت : بماذا ؟ قال عليه السلام : بالجوع » ^(١) . فلما كان الصوم على الخصوص قع للشيطان وسد لمسالكه وتضيقا لمحاريه ؛ استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففي قمع عدو الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له ، قال الله تعالى : « **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَمُدِّيَنَّهُمْ سَبَّلَنَا** » ^(٢) [العنكبوت : ٦٩/٢٩] ، وقال تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغِيِّرُ مَا بِقَوْمٍ** **حَتَّىٰ يَغِيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** » ^(٣) [الرعد : ١١/١٣] . وإنما التغيير

فقالا : سبحان الله ! فقال عليه السلام : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا .

فما أبعد المعنى الحقيقي للحديث عن المعنى الذي حمله إياه الغزالي !

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة ، ولم أعثر على أصل له في سواها .

(٢) وقام الآية : « **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَمُدِّيَنَّهُمْ سَبَّلَنَا** **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** » .

(٣) وقام الآية : « **وَلَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ، **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغِيِّرُ مَا بِقَوْمٍ** **حَتَّىٰ يَغِيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ** سُوءاً **فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالِّهِ** .

تكثير الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاه ، فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددتهم ، وما داموا يتربدون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه ، وكان محجوباً عن لقائه . و قال عليه السلام : « لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملکوت السموات » ^(١) ، فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنة ، وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد ^(٢) فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ، ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(١) حديث غير موجود في الكتب الستة ، لكنه في مسندي أحمد بن حنبل برواية أبي هريرة .

(٢) ورد في السنّة النبوية أحاديث كثيرة تدلّ على فضل رمضان ، منها مارواه الشیخان : « إذا جاء رمضان فتّحْت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب النار ، وصَفَّدت الشياطين » . « من قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدّم من ذنبه » .

واجبات الصوم

أما الواجبات الظاهرة فستة :

الأول - مراقبة أول شهر رمضان :

وذلك برؤيه الهلال^(١) ، فإن غم فاستكمال ثلاثين يوماً من شعبان . ونعني بالرؤيه العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد^(٢) . ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطاً

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فاكروا عدة شعبان ثلاثين » . رواه الشیخان عن أبي هريرة .

(٢) هنا حسب الشافعية والحنابلة ، أما الحنفية فاشترطوا لرؤيه الهلال جماعاً عظيماً إذا كانت السماء صحوأ . وفي هذا الموضوع تفصيلات عديدة واختلافات كثيرة أصبحت في عصرنا الحالي لا تؤدي إلا إلى تعزيق شمل الأمة الإسلامية وترسيخ خلافاتها حق أمسى نادراً أن يصوم جميع المسلمين في يوم واحد ، فعند قوم رمضان وعند آخرين شعبان ، وأناس صائدون وأناس مفطرون ! بل تعدد الأمر إلى العيد ، إذ بات يحمل في بلاد إسلامية ويتاخر يوماً في بلاد إسلامية أخرى ثم يزعم في كل ذلك مرضاء الله من حيث التدقق في تطبيق ما شرع ! ..

للعبادة . ومن سمع عدلاً ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم ، وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير بأخرى - وكان بينها أقل من مراحلتين - وجب الصوم على الكل ، وإن كان أكثر لكل بلدة حكمها ، ولا يتعذر الوجوب .

الثاني - النية :

ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ، ولو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفيه ، وهو الذي عنينا بقولنا « كل ليلة » ، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ؛ ولا صوم الفرض ؛ إلا التّطوع الذي عنينا بقولنا « مبيتة » ، ولو نوى الصوم مطلقاً أو الفرض مطلقاً لم يجزه حتى ينوي

فعجباً ! أي مرضاة لله ومن الأهداف الأولى لصوم رمضان الإشعار بوحدة المسلمين الحسية في مشارق الأرض وغاربها ... بل إنه مامن جمة حق الآن فكرت في بناء مرصد جوي إسلامي متتطور موحد لرصد حركة القمر وإثبات ظهوره وعرض ذلك على كل شاشات التلفزة ليكون ذلك مساعدأ للعين المجردة على تقصي القمر !

فريضة الله عز وجل صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غداً إن كان من رمضان لم يجزه ، فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيتها إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم ، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية ، أو يستند إلى اجتهاد المحبوس في المطهورة إذا غالب على ظنه دخول رمضان باجتهاده ، فشكه لا يمنعه من النية . ومما كان شاكاً ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب . ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان : « أصوم غداً إن كان من رمضان » ، فإن ذلك لا يضره ؛ لأنه ترديد لفظ ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد ؛ بل هو قاطع بأنه من رمضان ؛ ومن نوى ليلاً ثم أكل لم تفسد نيتها ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صحة صومها .

الثالث - الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمداً مع ذكر الصوم :

فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ، ولا يفسد بالفصد والخجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والإحليل ؛ إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة ، وما يصل بغير قصد من غبار الطريق ، أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو ما يسبق إلى جوفه في المضضة ، فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضضة ؛ فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذي أردنا بقولنا « عمداً ». فاما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس ؛ فإنه لا يفطر . أما من أكل عمداً في طرف النهار ثم ظهر له أنه أكل نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ، ولا ينبغي أن يأكل في طرف النهار إلا بنظر واجتهاد .

الرابع - الإمساك عن الجماع :

وحده مغيب الحشمة ، وإن جامع ناسياً لم يفطر ، وإن جامع ليلاً أو احتمل فأصبح جنباً لم يفطر ، وإن طلع الفجر

وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه ، فإن صبر فسد ولزمه الكفاره .

الخامس - الإمساك عن الاستقاء :

وهو إخراج المني قصداً بجماع أو غير جماع ، فإن ذلك يفطر ، ولا يفطر قبلة زوجته ولا بضاجعتها ما لم ينزل ، لكن يكره ذلك ، إلا أن يكون شيخاً أو مالكاً لإربه ، فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل ؛ فقبل وسبق المني أفطر لقصيره .

السادس - الإمساك عن إخراج القيء :

فالاستقاء^(١) يفسد الصوم وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه ، وإذا ابتلع نخامة^(٢) من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(١) الاستقاء : تكُلُّ إخراج القيء .

(٢) النخامة : ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه .

لوازم الإفطار

وأما لوازم الإفطار فأربعة : القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيهاً بالصائمين .

١ - القضاء :

أما القضاء فوجوبه مام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد . وأما الكافر والصبي والجنون فلا قضاء عليهم ، ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ، ولكن يقضي كيف شاء متفرقاً ومجوعاً .

٢ - الكفارة :

وأما الكفارة فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستثناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لا يجب به كفارة ، فالكافارة عتق رقبة ، فإن أسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فإطعام ستين مسكيناً مدائماً .

٣ - إمساك بقية النهار :

وأما إمساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه . ولا يجب على الحائض إذا ظهرت إمساك بقية نهارها . ولا على المسافر إذا قدم مفطراً من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عَدْلٌ واحد يوم الشك . والصوم في السفر أفضل من الفطر ، إلا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيناً في أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائماً .

٤ - الفدية :

وأما الفدية فتجب على الحامل والمرضع إذا أفترتا خوفاً على ولديها ، لكل يوم مدّ حنطة لسجين واحد مع القضاء ، والشيخ الهرم^(١) إذا لم يضم تصدق عن كل يوم مداً .

(١) أي تجب الفدية على الشيخ الهرم إذا لم يضم .

سن الصيام

وأما السنن فست :

- ١ - تأخير السحور .
- ٢ - وتعجیل الفطر بالترأء أو الماء قبل الصلاة .
- ٣ - وترك السوائل بعد الزوال .
- ٤ - والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة .
- ٥ - ومدارسة القرآن .
- ٦ - والاعتكاف في المسجد ، لا سيما في العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله ﷺ : « كان إذا دخل العشر الآخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله » ^(١) ؛ أي أداموا النصب في

(١) حديث صحيح مع اختلاف في الألفاظ ، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأصله : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجَدَّ ، وشدَّ المئزر ». وكلمة (الآخر) ليست من صلب الحديث ، وإنما هي تفسير . وعبارة .

العبادة إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها في أوتارها ، أشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبعين . والتتابع في هذا الاعتكاف أولى ، فإن نذر اعتكافاً متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة ؛ كاً لو خرج لعيادة^(١) أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة ، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع . وله أن يتوضأ في البيت . ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر ، « كان عليه لا يخرج إلا حاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا ماراً^(٢) » ، وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع = (شد المئر) كناية عن الجد والاجتهاد في العمل ، أو عن اجتناب النساء .

(١) أي لزيارة المريض .

(٢) حديث صحيح أخرجه الشيخان وأبو داود مع اختلاف اللفظ ، له روايات عديدة ، أقربها إلى ما ذكر الغزالى ما روتته عائشة (رضي الله عنها) : « وكان لا يدخل البيت إلا حاجة إذا كان معتكفاً » .

أما الشق الثاني من الحديث للتعلق بالسؤال عن المريض فهو يروى أيضاً على أنه من فعل عائشة (رضي الله عنها) ، ففي رواية الموطاً : أن عائشة كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تتشي ، لا تتف . وفي رواية أخرى لأبي داود قالت : « كان رسول الله عليه السلام ير بالمريض وهو معتكف ، فير ولا يعرج يسأل عنه » .

بالتبديل . ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست ، فكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنـه ، « كان عليه رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة^(١) ، ومها خرج المعتكـف لقضاء حاجـته فإذا عاد ينبغي أن يستأنـف النـية إلا إذا كان قد نـوى أولاً عشرة أيام مثلاً . والأفضل مع ذلك التجـديـد .

(١) حـديث صحيح أخرـجه الـستـة ، وأصلـه أن عائـشـة (رضـي الله عنـها) : « كانت تـرـجـلـ النبي عليهـ رـحـمـةـ وـهـيـ حـائـضـ ، وـهـوـ مـعـتـكـفـ فيـ المسـجـدـ ، وـهـيـ فيـ حـجرـتـهاـ يـنـاـوـلـهـ رـأـسـهـ ». وفي رـوايـةـ التـرمـذـيـ وـأـيـ دـاـوـدـ وـالـمـوـطـاـ : « كان إـذـ اـعـتـكـفـ أـدـنـيـ إـلـيـ رـأـسـهـ فـأـرـجـلـهـ ، وـكـانـ لـاـ يـدـخـلـ الـبـيـتـ إـلـاـ لـحـاجـةـ الـإـنـسـانـ ». وـمـعـنـيـ (أـرـجلـهـ) مـنـ التـرـجـيلـ أـيـ تـسـرـيـعـ الشـعـرـ .

أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاثة درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله .
وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيوية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفکر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر ؛ وبالفکر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدين ، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة^(١) ، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين بـ برزقه الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء

(١) هذا كلام مخالف لتعاليم الشريعة ، فيه حض على التقاус عن العمل

والصديقين والمربيين^(١) ، ولا يطول النظر في تفصيلها قوله^(٢) :

ولكن في تحقيقها عملاً ، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عزّ وجلّ ، وانصراف عن غير الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قوله عزّ وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٢)

[الأنعام : ٩١/٦] .

- صوم المخصوص والصالحين :

وأما صوم المخصوص - وهو صوم الصالحين - فهو كف^٢ الجوارح عن الآثام ، وتقامه بستة أمور :

= وترغيب بالتواكل ، وهذا منهي عنه ومحظى به عكسه . لكن الأشد من هذا أن المؤلف يجعل العمل في طلب الرزق وتدبير ما يفطر عليه الصائم خطيئة من الخطئات ، وهذا - لعمري - فيه بُعدٌ عن مقتضى الشرع الإسلامي ، والغزالى ينسب حكمه هذا إلى أرباب القلوب ، فليت شعري : من هؤلاء أرباب القلوب ؟! ومن أين تؤخذ أحكام الدين ، فمن أرباب القلوب أم من القرآن والسنة ؟!

(١) لأنظن أن هذه رتبة الأنبياء والصديقين والمربيين ، فاسمعنا بنبي من الأنبياء الله كان عاطلاً ومتقاعساً ، ثم أتاه رزقه الموعود ، وأنزل الله زاده من السماء ليفطر عليه بعد صومه !

(٢) يحاول المؤلف هنا أن يثبت كلامه السابق بالاستشهاد بهذه الآية ، ييد أنه

١ - صوم البصر :

غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويذكره ، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل ، قال عليه السلام : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنـه الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلوـته في قلبه »^(١) . وروى جابر عن أنس عن رسول الله عليه السلام أنه

اجتازها واجتثـها من سياقـها ، إذ لا عـلاقـة لها بما يقول لا من قـرـيب ولا من بـعـيد ، فالآية كاملـة هي : ﴿ وَمَا قـدـرـوا اللـهـ حـقـ قـدـرـهـ إـذ قـالـوا مـا أـنـزـلـ اللـهـ عـلـى بـشـرـ مـنـ شـيـ قـلـ مـنـ أـنـزـلـ الـكـتـابـ الـذـي جـاءـ بـهـ مـوـسـى نـورـا وـهـدـى لـلـنـاسـ تـجـعـلـوـنـةـ قـرـاطـيـسـ تـبـدـوـنـهـا وـتـخـفـونـهـا كـثـيرـا وـعـلـمـتـ مـالـمـ تـغـلـمـوـا أـنـهـ وـلـآـبـاؤـكـمـ قـلـ اللـهـ ثـمـ ذـرـهـمـ فـي خـوـضـهـمـ يـلـعـبـوـنـ ﴾ [الأنعام : ٩١/٦] .

فالآية هنا تتحدث عن اليهود أو الكفار الذين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم ، وأنكروا إـنـزالـ القرآنـ عـلـى الرـسـوـلـ عـلـى اللـهـ ، فـجـاهـلـمـ اللـهـ بـقـضـيـةـ لـا يـسـتـطـيـعـونـ إـنـكـارـهـا إـذـ سـأـلـمـ ﴿ قـلـ مـنـ أـنـزـلـ الـكـتـابـ الـذـي جـاءـ بـهـ مـوـسـى نـورـا وـهـدـى لـلـنـاسـ تـجـعـلـوـنـةـ قـرـاطـيـسـ تـبـدـوـنـهـا وـتـخـفـونـهـا كـثـيرـا وـعـلـمـتـ مـالـمـ تـغـلـمـوـا أـنـهـ وـلـآـبـاؤـكـمـ قـلـ اللـهـ ثـمـ ذـرـهـمـ فـي خـوـضـهـمـ يـلـعـبـوـنـ ﴾ [الأنعام : ٩١/٦] .

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة . وقد أخرجـهـ الحـاـكـمـ بـسـنـدـ صحيحـ عنـ حـذـيـفـةـ بـنـ الـيـانـ .

قال : « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » ^(١) .

٢ - صوم اللسان :

حفظ اللسان عن المديان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصوصة والمراء ، وإلزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن ، فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه . وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب . وقال عليه السلام : « إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاته فليقل إني صائم إني صائم ^(٢) ». وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد

(١) حديث ضعيف أخرجه الأزدي في الضعفاء وفيه أحد الكاذبين وهو (جابان) لا جابر، جرّحه أبو حاتم الرازي .

(٢) حديث صحيح أخرجه الستة وأصله في إحدى رواياته : « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به ، الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرث يومئذ ولا يصخب ، فإن شامة أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس محمد بيده خلوف في الصائم =

رسول الله ﷺ ، فأجدهما الجوع والعطش في آخر النهار ، حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا إلى رسول الله ﷺ يستأذناته في الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال ﷺ : « قل لها شيئاً فيه ما أكلتا ، فقاءت إحدهما نصفه دماً عبيطاً ولها غريضاً ، وقاءت الأخرى مثل ذلك ، حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ هاتان صامتاً بما أحل الله لها ، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما ، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس ، فهذا ما أكلتا من لحومهم »^(١) .

= أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرجهما ، إذا أفتر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » . ومعنى (الصيام جنة) : وقاية من النار .

(١) حديث ضعيف لأنّه منقطع وقد أخرجه أحمد ، وهو تجسيد حتى لعن الآية الكريمة المعروفة في الغيبة حتى كأنه من فهم العوام ، فقد أراد الله أن يبيّن مدى سوء الغيبة وفحشها وأن يكرّه الناس بها فقال : ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَخَذْكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهَتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢/٤٩] .

فهنا أراد الله أن يصور تصويراً ويشّل تثيلاً ما يناله المقتاب من عرض المقتاب على أفعى وجه وأفحشه ، وهو لم يكتف بتشبيه الاغتياب بأكل =

٣ - صوم السمع :

كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروره ، لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سُوِّي الله عَزَّ وجل بين المستع وأكل السحت ، فقال تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ بِهِ ﴾ ^(١) [المائدة : ٤٢/٥] . وقال عَزَّ وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ بِهِ ﴾ ^(٢) [المائدة : ٦٣/٥] ، فالسكتوت على الغيبة حرام . وقال تعالى :

= لحم الإنسان ، بل جعل هذا الإنسان أخاً ، ولم يقتصر على أكل لحم الأخ ، بل جعله ميتاً ، وهذا ما جبل الإنسان على كراهيته ، فالمعنى أنه : كما تكرهون هذا الأكل طبعاً وجبلةً فاكروهوا تلك الغيبة شرعاً ، وليس المعنى أنَّ من يفتتاب يأكل من لحم أخيه على وجه الحقيقة الحسية . فهذا فهم العوام من الناس ، والحديث المذكور يعبر عن هذا الفهم ، وقد قال عنه ابن كثير لما ذكر نحوه في تفسيره : « إسناد ضعيف ومتناً غريب » .

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٢/ : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَغْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقُسْطِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٦٣/ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾^(١) [النساء : ١٤٠/٤] ولذلك قال عليه السلام : « المغتاب والمستع شريكان في الإثم »^(٢) .

٤ - صوم بقية الجوارح :

كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار . فلامعنى للصوم - وهو الكف عن الطعام الحلال - ثم الإفطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصرأً ، فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثره لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً . والحرام سبب مهلك للدين . والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره . وقد قال عليه السلام : « كم من

(١) سورة النساء ، الآية ١٤٠ / ٤ :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَيَّغْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهِنُّ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ .

(٢) هنا الحديث لا أثر له في الكتب الستة . وهو حديث ضعيف السند رواه الطبراني من حديث ابن عمر .

صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ^(١) ، فقيل هو الذي يفطر على الحرام ، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

٥ - عدم الإكثار من الطعام :

لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يتلئ جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطنه مليء من حلال ^(٢) . وكيف يستفاد من الصوم في قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام ؟ حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدّة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواص وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى . وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ، ثم أطعمت من

(١) رواه أبو هريرة وأخرجه النسائي وابن ماجه .

(٢) هذا كلام يُساق دون دليل ، ولم يرد شيء فيها أعلم عن مثل هذا البغض ، ولعل هذا القول له علاقة بزهد الغزالي وتقشفه آخر حياته .

اللذات وأشبعت ؛ زادت لذتها ، وتضاعفت قوتها ، وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكرة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضييف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتلليل ؛ وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فاما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً لم ينتفع بصومه^(١) . بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهر حتى يحس بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى ، فيصفو عند ذلك قلبه ، ويستديم في كل ليلة قدرًا من الضعف حتى يخف عليه تهجمه وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه ، فينظر إلى ملوكوت السماء .

وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملوك ، وهو المراد بقوله تعالى : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** [القدر : ١٩٩] . ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلة من الطعام فهو عنه محجوب . ومن أخل معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب مالم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ، ومبدأ جميع ذلك تلليل الطعام .

(١) هنا كلام بلا دليل ، وهو رأي شخصي لا حكم فقهي .

٦ - تعلق القلب بين الخوف والرجاء :

أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء؛ إذ ليس يدرى أى قبل صومه فهو من المقربين؛ أو يرد عليه فهو من المقوتين؟ ول يكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها، فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه من بقوم وهم يضحكون؛ فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته؛ فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون. أما والله لو كشف الغطاء لاشتعل المحسن يا حسانه؛ والمسيء بيساعته، أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسدّ عليه باب الضحك. وعن الأحنف بن قيس: أنه قيل له إنكشيخ كبير، وإن الصيام يضعفك، فقال: إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه. فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم.

روح الصيام

فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المغاني فقد قال الفقهاء : (صومه صحيح) فما معناه ؟ فاعلم أنّ فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة : لا سيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقلبين على الدنيا الدخول تحته . فاما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول ، وبالقبول الوصول إلى المقصود . ويفهمون أنَّ المقصود من الصوم التخلّق بخلق من أخلاق الله عزّ وجلّ وهو الصمديّة ، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنهم منزهون عن الشهوات ، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلياً بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات انحط

إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علّيين والتحق بأفق الملائكة . والملائكة مقربون من الله عزّ وجلّ ، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عزّ وجلّ كقربهم ، فإن الشبه من القريب قريب ، وليس القرب ثمّ بالمكان بل بالصفات .

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهاك في الشهوات الأخرى طوال النهار ؟ ولو كان مثله جدوى فأي معنى لقوله ﷺ : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ، ولهذا قال أبو الدرداء : ياحذا نوم الأكياس وفطّرهم ، كيف لا يعيّبون صوم المحقى وسهرهم ! ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المفترّين . ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويسرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أنّ مثل من كفّ عن الأكل والجماع ؛ وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق في الظاهر العدد ؛ إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ؛ فصلاته مردودة عليه بجهله .

ومثل من فطر بالأكل وصام بجواره عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لاحكامه وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينها كمن غسل كل عضو ثلاث مرات^١ ؛ فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال .

وقد قال عليه السلام : « إنّ الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته »^(١) . ولما تلا قوله عزّ وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »^(٢) [النساء : ٥٨/٤] وضع يده على سمعه

(١) هذا الحديث غير موجود في الكتب الستة . وهو حديث حسن أخرجه الخرائطي عن ابن مسعود .

(٢) « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله يعثرا يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » [النساء : ٥٨/٤] .

وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة »^(١) ولو لا أنه من
أمانات الصوم لما قال ﷺ : « فليقل إني صائم » ؛ أي أني
أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك ؟ فإذا ذُنْ : قد ظهر
أن لكل عبادة ظاهراً وباطناً ؛ وقشرأ ولباً ، ولقشرها
درجات ، ولكل درجة طبقات . فإليك الخيرة الآن في أن تقنع
بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

(١) هو في سنن أبي داود برواية أبي هريرة .

التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة ، وبعضها يوجد في كل شهر ، وبعضها في كل أسبوع . أما في السنة بعد أيام رمضان في يوم عرفة ؛ ويوم عاشوراء ؛ والعشر الأول من ذي الحجة ؛ والعشر الأول من المحرم . وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهي أوقات فاضلة « وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى كان يظنّ أنه في رمضان »^(١) .

وفي الخبر : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم »^(٢) ، لأنّه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى

(١) حديث صحيح وهو قريب من الأصل أخرجه الستة بروايات مختلفة اختلافات يسيرة ، وفي رواية البخاري ومسلم : « لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ... » وفي أخرى « كان يصوم شعبان إلا قليلاً » .

(٢) حديث رواه مسلم وأبو داود وأصله :

لدوام بركته . وقال ﷺ : « صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثة غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثة من شهر حرام »^(١) . وفي الحديث : « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام ؛ الخيس والجمعة والسبت ؛ كتب الله له بكل يوم عبادة تسعة أيام »^(٢) . وفي الخبر : « إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان »^(٣) . ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أيام ، فإن وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة وفصل مراراً كثيرة^(٤) . ولا يجوز أن يقصد = « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الحرام ، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل » . وله رواية أخرى قريبة .

(١) هذا الحديث لا وجود له في الكتب الستة . وقد أخرج الطبراني في المعجم الصغير ما يشبهه دون التفضيل .

(٢) حديث ضعيف أخرجه الأزدي في الضعفاء .

(٣) هذا الحديث له روايات مختلفة أقربها إلى ما ذكره المؤلف ما أخرجه أبو داود :

« إذا اتصف شعبان فلا تصوموا »

(٤) من الأحاديث التي تدل على أن الرسول ﷺ قد وصل شعبان برمضان ما أخرجه أبو داود والنسائي في إحدى رواياته : « كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ، ثم يصله برمضان » . =

استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق ورداً له . وكره بعض الصحابة أن يصوم رجب كله ؛ حتى لا يضاهي بشهر رمضان . فالأشهر الفاضلة : ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان . والأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد ، وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج . وفي الخبر « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة ، وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر ، فقالوا : ولا الجهاد في سبيل الله تعالى ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق

دمه » ^(١) .

= وما أخرجه الترمذى وهو قول أم سلمة (رضي الله عنها) : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » وما رواه الترمذى وأبو داود والنسائى وهو حديث حسن : « ما رأيته يصوم شهرين متتابعين ، إلا أنه كان يصل شعبان برمضان » .

= فيما رواه الغزالى من هذا الحديث هو دمج لروايتين مع بعض التغيير في

وأما ما يتكرر في الشهر : فأول الشهر وأوسطه وأخره ، ووسطه الأيام البيض وهي : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع ؛ فالاثنين والخميس والجمعة ، فهذه هي الأيام الفاضلة ، فيستحب فيها الصيام وتكتير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات .

وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراحته^(١) .

= الملفظ ، الأولى أخرجها الترمذى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والثانية أخرجها البخارى وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) .

- الرواية الأولى : « ما من أيام أحب إلى الله أن يتبعده له فيها من عشر ذي الحجة ، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة ، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر » .

- والرواية الثانية : « ما من أيام العمل الصالحة فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر ، فقالوا : يا رسول الله : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله ، فلم يرجع شيء » .

(١) من الأحاديث التي تدل على كراهة صوم الدهر ما أخرجته النسائي في رواية عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) وفي أخرى عن عبد الله بن

والصحيح أنه إنما يكره لشيئين؛ أحدهما: أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله، والآخر أن يرغم عن السنة في الإفطار و يجعل الصوم حجراً على نفسه؛ مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائه. فإذا لم يكن شيء من ذلك؛ ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك^(١). فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله

= عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، «من صام الأبد فلا صام ولا أفطر». وفي رواية الشيخين وأحمد: «لا صام من صام الأبد» وفي السنة الشريفة أنه (عليه السلام) ما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان. وسيرد الحديث في المعاشرة ٢.

(١) كلام غريب أن يشجع الغزالي على صوم الدهر والرسول نفسه لم يرض به، فبالإضافة إلى الحديث السابق الذي سقناه في المعاشرة (١) هناك حديث آخر مشهور يحذر فيه الرسول (عليه السلام) من صوم الدهر. فحينما علم بأمر الرجال الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم إذ قرر أحدهم أن يصلى الليل أبداً، والثاني أن يصوم الدهر ولا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء ... جاء إليهم (عليه السلام) وقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأشخاكم الله، وأتقاكم له، ولكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». أخرجه البخاري ومسلم.

عنهم . وقال عليه السلام فيما رواه أبو موسى الأشعري : « من صام الدهر كله ضيقـت عليه جهـنـم وعـقـدـتـ تـسـعـينـ »^(١) ، ومعناه لم يكن له فيها موضع ، ودونـه درـجـةـ أـخـرـىـ وهو صـومـ نـصـفـ الـدـهـرـ بـأـنـ يـصـومـ يـوـمـاـ وـيـفـطـرـ يـوـمـاـ ، وـذـلـكـ أـشـدـ عـلـىـ النـفـسـ وـأـقـوـيـ فـيـ قـهـرـهـاـ ، وـقـدـ وـرـدـ فـيـ فـضـلـهـ أـخـبـارـ كـثـيرـةـ لـأـنـ العـيـدـ فـيـهـ بـيـنـ صـومـ يـوـمـ وـشـكـرـ يـوـمـ ، فـقـدـ قـالـ عـلـيـهـ سـلـامـ : « عـرـضـتـ عـلـيـ مـفـاتـيـخـ خـزـائـنـ الـدـنـيـاـ وـكـنـوزـ الـأـرـضـ فـرـدـدـتـهـاـ وـقـلـتـ أـجـوـعـ يـوـمـاـ وـأـشـيـعـ يـوـمـاـ أـحـدـكـ إـذـاـ شـبـعـتـ وـأـتـضـرـعـ إـلـيـكـ إـذـاـ جـعـتـ »^(٢) . وـقـالـ عـلـيـهـ سـلـامـ : « أـفـضـلـ الصـيـامـ صـومـ أـخـيـ دـاـوـدـ كـانـ يـصـومـ يـوـمـاـ وـيـفـطـرـ يـوـمـاـ »^(٣) . وـمـنـ ذـلـكـ « مـنـازـلـتـهـ عـلـيـهـ سـلـامـ لـعـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ

(١) رواه البيهقي وأحمد ، لا ذكر له في الكتب الستة .

(٢) حديث حسن لكنه بلفظ آخر : وقد أخرجه الترمذى وأصله : « عرضـ عـلـيـ رـبـيـ لـيـجـعـلـ لـيـ بـطـحـاءـ مـكـةـ ذـهـبـاـ ، فـقـلـتـ : لـاـ يـاـ رـبـ ، وـلـكـ أـشـيـعـ يـوـمـاـ ، وـأـجـوـعـ يـوـمـاـ ، فـإـذـاـ جـعـتـ تـضـرـعـتـ إـلـيـكـ وـذـكـرـتـكـ ، وـإـذـاـ شـبـعـتـ حـمـدـكـ وـشـكـرـتـكـ ... » .

(٣) حديث صحيح له روايات عديدة أخرجهها مسلم والترمذى والنسائى وفي رواية الترمذى : « أـفـضـلـ الصـومـ صـومـ أـخـيـ دـاـوـدـ ؛ كـانـ يـصـومـ يـوـمـاـ ، وـيـفـطـرـ يـوـمـاـ ، وـلـاـ يـفـرـ إـذـاـ لـاقـ » .

عنها في الصوم وهو يقول : إني أطيق أكثر من ذلك ، فقال ﷺ : صم يوماً وأفطر يوماً ، فقال : إني أريد أفضل من ذلك ، فقال ﷺ : « لا أفضل من ذلك » ^(١) . وقد روي أنه ﷺ ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان » ^(٢) بل كان يفطر منه .

من لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين . وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفضيلة . فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفریغ الهم لله عز وجل . والفقیه

(١) أحاديث كثيرة : تدور حول هذا المعنى بروايات متعددة تروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أخرجها البخاري ومسلم والنسائي والترمذى وأبو داود .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود . يروى عن عائشة (رضي الله عنها) وأصله : « كان رسول الله ﷺ يصوم حق تقول لا يفطر ، ويفطر حق تقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان » .

بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضي حاله دوام الصوم ، وقد يقتضي منزج الإفطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً . ولذلك روي أنه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام »^(١) . وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات .

وقد كره العلماء أن يواли بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرأً بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسي القلب ، ويولد رديء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات ، ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق ، ولا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أوردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب .

(١) راجع الحديث السابق في الحاشية (٣) .

تم كتاب : أسرار الصوم ، والحمد لله بجمعـيـع مـحـامـدـه كلـها :
ما عـلـمـنـا مـنـهـا ، وـمـا لـمـ نـعـلـمـ عـلـى جـمـيـع نـعـمـهـ كلـها : ما عـلـمـنـا مـنـهـا
وـمـا لـمـ نـعـلـمـ ، وـصـلـى اللـهـ عـلـى سـيـدـنـا مـحـمـدـ وـآلـهـ وـصـحـبـهـ وـسـلـمـ وـكـرـمـ
وـعـلـى كـلـ عـبـدـ مـصـطـفـىـ مـنـ أـهـلـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ .

كتب للمؤلف

تأليف :

☆ الإشكالية المنهجية في كتاب (الكتاب والقرآن) ،
دراسة نقدية لكتاب (د . محمد شحرور) .
دار الفكر/ ١٩٩٤ م .

تحقيق :

☆ التّفّكُر في خلق الله ، للإمام أبي حامد الغزالى ،
دار الفكر/ ١٩٩٥ م .

Dar al Fikr

Branch of Dar al Fikr



Dar al Fikr of Mu'sanif
Beirut - Lebanon

**Secrets of Fasting
Asrar al-Sawm**

BY Abu Hamid al-Ghazali
Rev: Maher al-Munajjid

<http://www.Fikr.com/>
Mail: Info@Fikr.com

لله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا
لله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا
لله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا
لله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا ولله ولدنا

وَاللَّهُمَّ (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) اعْزِزْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
الْجَنَّةَ الْيَقِينَ (الْجَنَّةَ عَلَيْهِ الْمَدْحُونُ). تَبَارَكَ الْإِسْلَامُ
لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَا يُنْهَى عَنْهُ الْحَقُّ

ISBN 1 57547 303 4



E 781575473035

To: www.al-mostafa.com